جمع القرآن

أولا: الجمع في الصّدور:

أما الجمع في الصدور، فهو تيسير حفظه للمسلمين، فتراهم في شتى بقاع الأرض يترنَّمون بهذا القرآن حفظاً وبعضهم لا يكاد يعرف العربية لا قراءة ولا كتابة، وتلك مزية لا تجدها لغير القرآن.

وموضوع حفظه في الصدور من الوضوح بمكان، لذا لا يحتاج الأمر إلى كثير تقرير له، ولقد نصَّت آياتٌ على تيسير هذا الأمر على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومن ثمَّ على أمته التي ستحمل عنه هذا الكتاب الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: {**سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى *إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى**} [الأعلى: 6 - 7]، وقوله تعالى: {**لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ *إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ *فَإِذَا قَرَانَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ *ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**} [القيامة: 16 - 19]. أي تأليفه. قال أبو عبيدة: وإنما سمي قرآنا لأنه جمع السور وضمّها.

رَوى الإمام أحمد بسنده عن زر عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارْقَ ورَتِّلْ كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منْزلتك عند آخر آية تقرؤها »[1]

*** الجمع في السّطور:**

مرَّ الجمع في السطور بمراحل متعددة، وقد قسمها العلماء إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: في عهد النبي صلّى الله عليه وسلّم.

المرحلة الثانية: في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

المرحلة الثالثة: في عهد عثمان رضي الله عنه.

---

[1] ينظر: المسند: 2/192.

ولكلّ مرحلة من هذه المراحل خصائصها وسماتها، ويمكن تفصيل القول فيها من خلال الآثار الواردة في هذا الموضوع، وإليك هذا التفصيل:

- **المرحلة الأولى: جمع القرآن في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم)**

لما كان الرسول صلّى الله عليه وسلّم في مكة وقبل تنظيم المجتمع المسلم؛ لم يكن هناك اعتناءٌ ظاهرٌ بتدوين القرآن.

ولما انتقل النبي صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة النبوية، وكان الأمر قد آل إليه كان مما اعتنى به كتابة القرآن فكتب ما نزل عليه بمكة، وإذا نزل عليه شيء من القرآن بالمدينة كتبه، وألَّف "**جمع**" القرآن المكي والمدني، وقد كان له في المدينة كتَّابٌ معروفون يدعوهم لكتابة ما ينْزل من القرآن، وكان من أخصِّهم بذلك زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه.

ومما يدلُّ على أنَّ القرآن لم يكن مجموعاً في مصحفٍ واحدٍ في عهد النبي صلّى الله عليه وسلّم، الحديث الذي ذكره البخاري في جمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن زيد بن ثابت أخبر عن جمع متفرق القرآن بقوله: «**فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُبِ والرِّقاع واللِّخَاف**»[1]

وهذا يدل على أن القرآن لم يكن مجموعا بل كان متفرقاً في مثل هذه الأدوات التي ذكرها زيد رضي الله عنه.

وقد كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يعتني بكتابة القرآن أيما عناية، وكان يطلب أحد كتبة الوحي بكتابة القرآن إذا نزل عليه القرآن، وهذا مما دلَّت عليه الآثار، مثل ما رواه البخاري بسنده عن البراء رضي الله عنه قال: «لما نزلت: {**لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**} [النساء: 95] دعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم زيداً فكتبها، فجاء ابن أم مكتوم فشكا ضرارته، فأنزل الله: {**غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ**}»

*** ملامح هذا الجمع:**

[1] العُسُب جمع عسيب: سعف النخيل، وأهل الحجاز يسمونه الجريد. اللِّخاف واحدتها: لَخْفة وهي حجارة بيض رقاق.

1 – أنه كان مفرَّقاً في عدد من أدوات الكتابة.

2 – أنّ القرآن الذي نقرؤه كله كان مكتوباً في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لم يكن منه شيء غير مكتوب، ثم كُتب بعد ذلك.

- **المرحلة الثانية: في عهد أبي بكر "رضي الله عنه"**

استحر القتل أي اشتدّ بموقعة اليمامة –واقعة جهة نجد– وكانت مع مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة وقد قتل في هذه الواقعة جمع من القراء وابتدأت غزوتها في أواخر **عام الحادي عشر** وانتهت في ربيع الأول عام الثاني عشر للهجرة وفيها قتل من القراء سبعون قارئا من الصحابة وقيل سبعمائة وقد قتل منهم مثل هذا العدد في بئر معونة قرب المدينة في عهد النبي صلي الله عليه وسلم، ولا يخفي أن قتل مثل هذا العدد من القراء ليس بقليل، خصوصا والكتابة لم تكن منتشرة عندهم حتى يرجعوا إلى ما كتبوه بل كان اعتمادهم على ما في صدورهم.

قال زيد: قال أبو بكر رضي الله عنه: **إنك رجل شاب عاقل، لا نتهمك**، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمراني به من جمع القرآن.

قال البيهقي: وقد روينا عن زيد بن ثابت أن **التأليف** كان في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وروينا عنه أن **الجمع في الصحف** كان في زمن أبي بكر، **والنسخ في المصاحف** كان في زمن عثمان، وكان ما يجمعون وينسخون معلوما لهم، فلم يكن به حاجة إلى مسألة البينة.

ولم تكن البينة على أصل القرآن، فقد كان معلوما لهم ذكر، وإنما كانت على ما أحضروه من الرقاع المكتوبة فطلب البينة عليها أنها كانت كتبت بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبإذنه على ما سمع من لفظه على ما سبق بيانه، ولهذا قال: فليمل سعيد، يعني من الرقاع التي أحضرت، ولو كانوا كتبوا من حفظهم لم يحتج زيد فيما كتبه إلى من يمليه عليه.

*** ملامح هذا الجمع:**

1 – أن القصد منه جمع المكتوب المتفرق من القرآن في مصحفٍ واحدٍ.

2 – أن سبب الجمع هو شدة القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن، والمجموع لن يكون سوى ما ثبتت قرآنيته.

3 – أن كثيراً من التفاصيل المتعلقة بطريقة كتابة المصحف، وما فيه من معلومات لم يرد فيها شيء، وما يحكيه العلماء من بعض هذه التفاصيل، فإنه لم يثبت فيها نص صريح البتة؛ كمن يحكي أن في ترتيب السور خلافاً.

جاء في صحيح البخاري أنّ شداد بن معقل قال لابن عباس: «أَتَرَكَ النبي صلّى الله عليه وسلّم من شيء؟

قال: ما ترك إلا ما بين الدّفتين.

يقول البيهقي في "شعب الإيمان" «وأَمَرَ أبو بكر رضي الله عنه بجمع القرآن، ونَقَلَه إلى مصحفٍ، ثم اتخذ عثمان من ذلك المصحف مصاحف، وبعث بها إلى الأمصار، ولم يُعْرَف أنه أُثبت في المصحف الأول، ولا فيما نُسِخَ منه شيء سوى القرآن، فلذلك ينبغي أن يُعمل في كتابة كل مصحف»

- **المرحلة الثالثة : في عهد عثمان رضي الله عنه**

1 – سبب الجمع:

«أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان رضي الله عنه . وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق . فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين؛ أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان رضي الله عنه إلى حفصة رضي الله عنها أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة رضي الله عنها إلى عثمان رضي الله عنه، فأمر **زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام** رضي الله عنهم

فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان رضي الله عنه للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا. حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان رضي الله عنه الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق».

لم يذكر حذيفة رضي الله عنه مثالاً على هذا الاختلاف الكائن بين القراءة، وقد يكون الاختلاف كمثل الاختلاف الوارد في الأثر السابق عن علقمة بحذف وإثبات، وقد يكون بإبدال لفظ بلفظ، وقد يكون بطريقة قراءة، كلّ ذلك جائز أن يكون، والله أعلم.

2 – أن القصد من هذا العمل نسخ مصاحف من مصحف أبي بكر، الذي هو أصل العمل: «فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان».

كانت المصاحف عند عمر رضي الله عنه، ثم عند حفصة رضي الله عنها بعده، فأخذها عثمان رضي الله عنه بقصد نسخ مصاحف من هذا المصحف، ولم يكن له هدف آخر كالانتخاب منه، كما يذهب إليه بعضهم حيث يذهب إلى أنْ عثمان رضي الله عنه ترك **المنسوخ** من الآيات الواردة في مصحف أبي بكر رضي الله عنه وقد مضى التنبيه على عدم وجود، مثل هذه الآيات في مصحفه.

3 – تكوين لجنة لهذا العمل العظيم:

« فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. ».

يلاحظ **أنَّ** ثلاثة منهم **مكيُّون**، والرابع **مدنيٌّ** وهو زيد بن ثابت رضي الله عنه، ويلاحظ أنه نصَّ على عملهم وهو النسخ فحسب.

4 – المنهج المتبع في الرّسم حـال الاختلاف:

«وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: "**إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم**"، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة».

أرشدهم عثمان رضي الله عنه إلى ما يعملونه حال اختلافهم في رسم كلمة ما، بدلالة قوله «فاكتبوه»؛ أي: فارسموه بطريقة نطق قريش التي نزل القرآن أول ما نزل بلغتها.

5 – إلزام الناس بما نُسِخ من مصحف أبي بكر، وأمرهم بتحريق مصاحفهم:

«و أرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق».

.....

بعض المراجع: «جمع القرآن في مراحله التاريخية»، للباحث محمد شرعي أبو زيد.